

المكتبات العمومية ودورها في تنشئة جيل يقرأ

Public libraries and their role in bringing up the generation reads

تاريخ القبول: 2018-12-02

تاريخ الإرسال: 2018-11-23

الدكتور بولعشار مرسللي

أستاذ بالمركز الجامعي - تيسمسيلت - الجزائر

الملخص:

كثيرا ما تتردد مقولة أفلاطون على ألسنة المهتمين بالقراءة: "شعب يقرأ شعب لا يجوع ولا يستعبد"، لذا ارتأت في هذه المداخلة أن أتحدث عن دور المكتبات في توعية الشعوب، ومساهمتها في نشر الوعي من خلال توفير الكتاب و التشجيع على القراءة ونشر الثقافة والوعي الفكري. إن للمكتبة دور بارز في تطوير وتكوين فكر المجتمع وثقافته، حيث تعمل على نشر الوعي المعلوماتي والثقافي، وذلك من خلال توفير الوسائل التي تعين الطالب العلم على كسب المعرفة و الإلمام بالثقافة العامة، فهي تحتوي على مجموعة من المصادر والكتب والمخطوطات والصحف والمجلات، لتشجيع المواطنين على القراءة والاطلاع، وتقديم لزارها العديد من الأنشطة الثقافية، وغيرها من النشاطات. ففعل القراءة مرتبط بالدرجة الأولى بوجود مكتبات عمومية، التي هي بدورها منوطة بتوفير الكتاب واستقطاب القراء. لذا يمكننا أن نطرح السؤال الآتي: هل قامت المكتبات العمومية بواجبها على أكمل وجه في استقطاب القراء؟ وهل يمكننا القول بأن ضعف المقروئية راجع إلى المكتبات؟ هذا ما سنقف عنده.

الكلمات المفتاحية: المكتبة، القراءة، المساهمة، العلم، المعرفة.

Summary:

Plato's statement is often echoed on the tongues of those interested in reading: "People read a people that does not starve or enslave." In this intervention, I would like to talk about the role of libraries in educating peoples and their contribution to spreading awareness through the provision of books, encouragement of reading and dissemination of culture and intellectual awareness.

Keywords: Library, Reading, Contribution, Science, Knowledge

توطئة:

إن للمكتبة دور بارز في تطوير وتكوين فكر المجتمع وثقافته، حيث تعمل على نشر الوعي المعلوماتي والثقافي، وذلك من خلال توفير الوسائل التي تعين الطالب العلم على كسب المعرفة و الإلمام بالثقافة العامة، فهي تحتوي على مجموعة من المصادر والكتب والمخطوطات والصحف والمجلات، لتشجيع المواطنين على القراءة والاطلاع، وتقديم لزارها العديد من الأنشطة الثقافية، وغيرها من النشاطات.

يقول علماء المكتبات في تعريفهم للمكتبة العمومية: هي مؤسسات ثقافية تعليمية فكرية وثقافية، تنشئها الدولة، و تمولها من الميزانية العامة لها، تعمل على حفظ التراث الثقافي الإنساني والفكري، ليكون في خدمة القراء والمواطنين من كافة الطبقات الاجتماعية، والمهنية على اختلاف مستوياتهم ومؤهلاتهم، وأعمارهم (1).

فالدولة هي من تسهر على تقديم خدمة عمومية لفائدة مواطنيها، لما لها من إمكانيات وقدرات وهذه الخدمة تكون مجانا، بهدف التشجيع على المطالعة و القراءة لكافة شرائح المجتمع وخاصة طلبة العلم.

يعود تاريخ إنشاء المكتبات الوطنية كأحد أنواع المكتبات إلى القرن السابع عشر، إذا ما أخذنا في الحسبان أن المكتبات الملكية في بعض بلدان الأوربية هي المنشأ الأصلي للمكتبات الوطنية حيث انتشرت هذه المكتبات بسرعة في أوروبا خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر (2).

و جدير بالذكر أنه خلال الأربعين سنة الماضية انتشرت فكرة المكتبات الوطنية في العالم بأسره. كتعبير عن مفهوم الوطنية الآخذ في الانتشار، و قد جاءت هذه المكتبات في أعقاب سلسلة من المؤسسات ذات الطابع الوطني، كالأرشيف الوطني، والمسرح الوطني، والمتحف الوطني. (3)

لا يعدل المكتبة الحديثة، و خاصة العامة منها في التأثير الثقافي والاجتماعي منها، إلا ما يقدمه النظام الرسمي للتعليم. فالمفروض في المكتبة أن تكون في متناول جميع طبقات الشعب على تباين الأعمار، و الأديان والمهن، والمصالح الشخصية والعقائد السياسية، والمستوى الاقتصادي والاجتماعي (4).

فالمكتبة العمومية بفضل الإمكانات التي تتوفر عليها تسعى لتحقيق رغبات كل القراء في جميع التخصصات، لذا نجد أنها في كل سنة تزود قرائها بعناوين جديدة، ولكي تتمكن من جلب أكبر عدد من القراء، وتقدم لهم أحسن خدمة في المجال الثقافي.

العوامل المساعدة على إنشاء المكتبة العمومية:

هناك عوامل شتى ساعدت في انتشار المكتبات العمومية وتطورها منها: (5)

__ انتشار التعليم بين الأفراد في كافة المجتمعات البشرية.

__ ظهور نظريات جديدة في التربية والتعليم والتدريس.

__ ظهور نظرية التعليم الإلزامي لكل المواطنين في عدد كبير من أقطار العالم، و إلى جانب برامج محو الأمية وتعليم الكبار.

__ اختراع الطباعة وتطوير قدرتها على توفير كافة أوعية المكتبة.

__ التطور العلمي والتكنولوجي في مختلف علوم المعرفة وتنافس الدول المعنية في هذه المجالات.

__ تطور المجتمعات اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وتعليميا في كافة أنحاء العالم وخاصة الدول النامية.

لقد سعت الجزائر جاهدة خلال السنوات الأخيرة، في إنجاز العديد من المكتبات في جميع أنحاء الوطن، فتقريبا في كل بلدية إلا وتجد مكتبة، ناهيك عن المكتبات الكبيرة الموجودة في المدن الكبرى، بالإضافة إلى دور الثقافة المنتشرة في ربوع الوطن، دون أن ننس المكتبات المتنقلة. كل هذا ساهم بقسط كبير في الترويج للكتاب و للمقروئية في الجزائر.

مرتكرات المكتبات العمومية:

يرى "محمد علوان" أن المكتبة العامة تستمد عموميتها من نقطتين هامتين وهما:

1- **عمومية المقتنيات:** فمقتنياتها لا تخصص في مجال موضوعي معين، وإنما يشمل موضوعات كثيرة ومتنوعة.

2- **عمومية المستفيدين:** فهي تتميز بعمومية مستفيديها، فلا أثر للجنس، ولا للون، ولا للمستوى الاجتماعي، بل تستوعب الجميع، لذا أطلق عليها جامعة الشعب (6).

فمن خلال هذه العمومية، التي تكتسبها المكتبات العمومية، فهي تقوم بدور مهم في جذب القارئ وكل المهتمين بالقراءة، ومن ثم تتحقق عملية التنمية لثلاثة عناصر أساسية: القارئ والناشر والمؤلف، وهذه المحاور الأساسية التي تكتمل من خلالها عملية التنمية الحقيقية للكتاب (7).

تعتمد الوظائف التي تؤديها المكتبات العامة بدرجة كبيرة على الوضع التاريخي والاجتماعي والاقتصادي للبلد الذي توجد فيه المكتبة و يحدد "عبد العزيز محمد النهاري" اثنين وعشرين وظيفة للمكتبة أذكر بعضا منها رأيها أهم الوظائف وهي (8):

- الوظائف الخاصة بجمع الإنتاج الفكري الوطني.
 - جمع وحفظ المخطوطات الوطنية.
 - الوظائف الخاصة بالخدمات المكتبية وتوفير المعلومات.
 - الإشراف على تطبيق قانون حقوق التأليف والنشر.
 - تمويل أو المشاركة في تمويل الاحتفالات الخاصة بالمناسبات الوطنية والتاريخية.
- فوظيفة المكتبة لا تقتصر فقط على توفير الكتاب و فقط، وربما يعتقد الكثير أن لها وظيفة واحدة والمتمثلة في توفير الكتب، بل هي مؤسسة ذات وظائف متعددة ذكرناها آنفا تمكنها من أداء مهامها على أحسن وجه.
- دور المكتبة العمومية:**

حتى تحقق المكتبة أهدافها ووظائفها يجب أن تكون جزءا حيا وحيويا ومؤثرا في المجتمع، لذلك ينبغي لها أن تؤدي دورها على أكمل وجه، والمتمثل أساسا في عنصر المطالعة، بمعنى كيف يمكنها أن تستقطب القراء والمهتمين للدخول للمكتبات ومن ثمة التعود على فعل القراءة والمطالعة.

"فالمكتبة العامة تلعب دورا رائدا في نشر التعليم، فقد كانت المكتبات العامة دوما سندا للمدارس ومؤسسات التعليم النظامي بل قد يجد فيها التلميذ أو الطالب ما لا يجده في مكان آخر... ولا يقتصر دور المكتبة على دعم التعليم النظامي فحسب، بل يتعدى ذلك ليشمل منح الفرص لكل من يريد أن يتعلم دون تقييد ودون تمييز في السن أو المستوى، فأبوابها مفتوحة للجميع" (9).

فهي ليست مجرد مكان لحفظ الوثائق وتقديمها للقراء بل هي مركز للمعلومات يعمل على اقتناء وتنظيم المعلومات التي تهم المجتمع المحلي أساسا وفيه يجد الباحثون عن معومات ما إجابة لتساؤلاتهم كما يحظون بالتوجيه اللازم كلما اقتضى الأمر لذلك (10).

فجميع المكتبات الوطنية تقوم بوظيفة تجميع الإنتاج الفكري الوطني حيث يقول همفريز: " بغض النظر عن أداء الوظائف المكتبية المختلفة في أماكن أخرى. إلا أن تجميع الإنتاج الفكري الوطني سيظل الهدف الأساسي للمكتبة الوطنية" (11)، وهذا يعني ربط علاقة بين المؤلف والقارئ، فلا بد من وضع استراتيجية واضحة تسمح للقارئ بمعرفة محتوى ما ينشره المؤلف، وتقريب هذا الأخير من القارئ وهذا ما نلاحظه في المعرض الدولي للكتاب عندما يقوم المؤلف بالتوقيع على آخر إصداراته.

أهداف المكتبة العامة :

نقصد بالمكتبة العامة أي العمومية التي هي ملك للجميع وتقدم خدمة مجانية هدفها الأسمى نشر المعرفة وتنوير المجتمع، وتحبيب المطالعة للناشئة، " فالمطالعة هي عملية اتصالية بين ذاكرة مصطنعة وكائن بشري" (12)، وتصبح المطالعة عامة عندما توضع مصادر المعلومات في متناول عامة الناس ليستفيدوا منها دون تمييز في الجنس أو السن أو المستوى الثقافي أو غيرها من الاعتبارات (13).

ومن أهم الأهداف المكتبة المتوخاة منها نجد(14):

- تنمية عادة القراءة والاستماع والمشاهدة لمختلف الأوعية لتحقيق التعلم الذاتي والمستمر.
- المساهمة في محو الأمية الهجائية والثقافية من خلال كتب مبسطة ومصورة لتعليم القراءة والكتابة.
- تساعد المكتبات العامة في نشر الوعي السياسي لدى الأفراد والجماعات.

أسباب عزوف بعض القراء على زيارة المكتبات:

إن ما يلاحظ عند زيارتنا لبعض المكتبات، هو خلوها من الزوار في فترات كثيرة وخاصة ونحن في عصر التكنولوجيا و فضاءات التواصل الاجتماعي التي تؤدي دورا سلبيا في كثير من الأحيان. فهناك أسباب عدة نشير إلى بعضها(15):

1- قد لا يعرف الكثير قيمة المكتبة وأهميتها في قضاء وقت الفراغ بما يفيد وأهميتها أيضا في تعليم الأفراد وحل مشاكلهم.

2- الأمية الأبجدية قد تكون عائقا في انتشار المكتبات في جميع الأماكن.

3- الأمية الثقافية مشكلة المشاكل.

وربما هناك أسباب أخرى ، كإسناد إدارة المكتبات لغير المتخصصين، أو قلة المصادر والمراجع المهمة التي يحتاج إليها المتخصصين والطلاب في دراساتهم.

لقد قامت الدولة بمجهودات جبارة من خلال إنجاز المكتبات ودور الثقافة عبر التراب الوطني، في محاولة منها لنشر المقروئية لدى المواطنين وخاصة الأطفال منهم لأنهم جيل المستقبل ، وبالتالي على الأولياء مرافقة أبنائهم إلى هذه المكتبات وتشجيعهم على حب القراءة ، كما لا بد للمدرسة أن تكون حاضرة في هذا المجال ، وذلك بأخذ التلاميذ إلى المكتبات العمومية وتعريفهم بها حتى ترسخ فكرة المطالعة لديهم.

الهوامش:

1- <http://www.arab-pa.org> - محمد علواني -

2- ينظر: عبد العزيز محمد النهاري، المكتبات الوطنية (تاريخها، وظائفها، وقائعها) ، الرياض، 1994، ص17

3- المرجع نفسه، ص17

4- عبد الله أنيس الطباع، علم المكتبات، دار الكتاب اللبناني، بيروت ، دت ، ص 15

- 5- مكاتي كريمة , أخصائيو المكتبات بين التكوين الجامعي والمهنة المكتبية, رسالة الماجستير, كلية العلوم الاجتماعية , جامعو وهران , 2011, ص 30
<http://www.arab-pa.org> 6 - ينظر: محمد علواني:
- 7- المرجع نفسه, ص 1
- 8 - ينظر: عبد العزيز محمد النهاري, المكتبات الوطنية (تاريخها, وظائفها, وقائعها), ص 51.
- 9- نور الدين شريط, تنمية المجموعات في المكتبة الوطنية الجزائرية, رسالة الماجستير, كلية علوم الإنسانية والاجتماعية , جامعة الجزائر, 2004, ص 35
- 10- المرجع نفسه, ص 35
- 11- ينظر: عبد العزيز محمد النهاري, المكتبات الوطنية (تاريخها, وظائفها, وقائعها), ص 63.
- 12- ينظر: نور الدين شريط, تنمية المجموعات في المكتبة الوطنية الجزائرية, رسالة الماجستير, كلية علوم الإنسانية والاجتماعية , جامعة الجزائر, 2004, ص 28
- 13- المرجع نفسه, ص 28
- 14- هاني محمد, المكتبة والمجتمع, دار العلم والإيمان, 2014, ص 80
- 15- ينظر: المرجع نفسه, ص 85